مجلـــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـــات الإنســـــانيــــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

خصائص الخطاب الشفوي الحِجاجي في خطب السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها(*)

د/ منال بنت صالح المحيميد
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية الآداب بقسم اللغة العربية
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن - الرياض
msalmohimeed@pnu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 13/2/2022 تاريخ قبوله للنشر 12/5/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

خصائص الخطاب الشفوي الحِجاجي في خطب السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها

د/ منال بنت صالح المحيميد
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية الآداب بقسم اللغة العربية
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن- الرياض

الملخص العربي

سعت هذه الدراسة إلى قراءة التراث "فن الخطابة" تحديداً خطب "السيدة عائشة – رضي الله عنها–" بأدوات جديدة، وبأسئلة جديدة، ولغايات جديدة، ليست الجدة هنا مقابلة للقدم، ولكنها تتبني على محاولة الجواب على سؤال: ما خصائص الخطاب الشفوي الحجاجي في خطب أم المؤمنين؟

وإن ابتدأت هذه الدراسة بهذا السؤال فإن الرحلة البحثية حاولتُ الإجابة عليه في قسمين، القسم الأول كان: في استجلاء أنواع الحجج، يليه القسم الآخر: في أساليب الحجاج الشفوي بالنظر إلى المكونات اللغوية، وترتيب أجزاء القول، وتوصل البحث إلى ثلة من النتائج أهمها: اعتماد السيدة عائشة – رضي الله عنها – على الإقناع من خلال اشتمال خطبها على ثلاثة ركائز مهمة تقتضيها الخطابة عامة من معاني جديرة بالإقناع، وحسنُ النظم والترتيب، ومراعاة حال السامع.

الكلمات المفتاحية: خطاب، خطب، شفوي، حجاج.

Characteristics of the Argumentative Oral Discourse in the Speeches of Mrs Aisha, Mother of the Believers May God be Pleased with Her

Dr-Manal Saleh ALMohimeed
PhD in Literature and Associate Criticism
Faculty of Arts, Department of Arabic Language

Princess Nourah bint Abdulrahman University – Riyadh

Research Summary

This study employs new tools in the reading of classical texts composed in "the art of oration". The research discusses sermons of Aisha (May Allah be pleased with her) using new tools, innovative questions and objectives. But the purpose of this study is not to juxtapose the old with the new as much as it is to build on an attempt to answer the question of what elements of persuasive oral rhetoric can be detected in the sermons of Aisha (The Mother of the Believers)? Although this study starts with this question, this exploration answers it in two sections. The first is to review the various kinds of persuasive arguments.

The second section discusses the styles of oration through their linguistic components and their discursive structure. The research reached a number of results. The most important of which is that Aisha relied on persuasion because her sermons encompass three significant foundations of public oration which are using efficiently persuasive rhetoric, composing aesthetically styled forms and being conscious of the reaction of the audience.

Keywords: Speech, Sermons, Oral, Pilgrims.

المقدمة

الحمد لله لم يزل علياً، ولم يزل في علاه سميّا، قطرة من بحر جوده تملأ الأرض ريّا، ونظرة من عين رضاه تجعلك وليّا، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد صلِّ الله عليه وسلم، أما بعد[١]؛ فإن الخطابة فن عرفه العرب منذ الجاهلية، لا يقل عن الشعر أهمية، عبر القلقشندي (ت٨٢١هـ) على ذلك بأن منثور الخطب عند العرب أكثر بكثير من الشعر، أما قلّة ورودها وندرتها، فإنه راجع إلى أنه لم يتناولها إلاَّ القليل من الفصحاء؛ لذلك عزَّ حفظها، وقلَّ عنهم نقلها[٢].

وتتميَّز الخطابة من باقي الفنون النثرية ببناء خاص، فهي فن خطابي شفاهي، وأداء معنوي، يتناول موضوعاً يُلقى بأسلوب خاص على مسامع الناس، غايته الإقناع والتأثير فيهم واستمالة عقولهم، بطريقة لا تُدخل عليهم الإملال، ممَّا يجعل مُنشئها حذراً متيقظاً حريصاً على انتخاب الملفوظ بكل دقة وحُسن السبك.

وتعمد الخطابة في جوهر أسلوبها "إلى بث حالة نفسية أو يقين وجداني حاسم، راغم لا يتمكن المرء أن يتحرر منه، بل يندفع بتأثيره إلى أعمال فائقة تبلغ في أحيان كثيرة، ما اتفق الناس على دعوته بطولة"[٣].

ولذلك تسعى هذه الدراسة إلى قراءة التراث "فن الخطابة" تحديداً خطب "السيدة عائشة – رضي الله عنها–" بأدوات جديدة، وبأسئلة جديدة، ولغايات جديدة، ليست الجدة هنا مقابلة للقدم، ولكنها تنبني على محاولة الجواب على سؤال: ما خصائص الخطاب الشفوي الحجاجي في خطب أم المؤمنين؟

يستمد الموضوع أهميته من أنَّ الخطابة من الفنون المهمة التي رادفت أهميتها أهمية الشعر منذ الجاهلية عامة، وخطب أم المؤمنين– رضي الله عنها– خاصة، فهي تعد منهلاً للبلاغة والفصاحة، ونصوص خطبها جديرة بالدرس والتحليل للوقوف على مواطن البيان فيها، وتقوم على عددٍ من الخصائص الفنية، بما يبرر التعامل معها بوصفها نصاً أدبياً له ما للنصوص الأدبية الأخرى، أضف إلى ذلك كثرة الأعمال المنتجة في هذا الفن في الأدب العربي القديم، وقلة الدراسات الأدبية والنقدية الجادة التي اهتمت به، والإيجاز الشديد فيما وجد منها.

---

(١) أفدت من مقدمة رسالتي للماجستير التي بعنوان: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد دراسة إنشائية، ١٤٣٢ه.

(٢) انظر: القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١ه)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م. ٢٥٤/١.

(٣) حادي، إيليا، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، لبنان، (د:ط)، (د:ت)، ص٩.

ومن أسباب اختيار الموضوع: أن الباحثة ارتضت الدراسة في هذا الجنس الأدبي؛ لأن الخطابة فن فيه الكثير من الكثافة اللغوية والأساليب البيانية، مما ييسر على المعنّي بدراسة الأدب تحليلها تحليلاً أدبياً، والنموذج المختار للدراسة هو "شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، ويليه مجموعة لخطب أم المؤمنين – رضي الله عنها–"(١)؛ لاحتوائها على خصائص فنية تجعلها جديرة بالدرس الأدبي، أضف إلى ما سبق أن هذه الخطب لم يُسبق تحليلها حجاجياً، وبهذا تكتسب دراسة تلك الخطب الطرافة والجدة؛ ومما يعضد ذلك تطبيق المنهج التداولي عليها.

وعليها فإن من أهداف هذه الدراسة أنها ستقف على بيان خصائص الخطاب الحجاجي الشفوي لخطب أم المؤمنين، من خلال الكشف عن وسائل الإقناع وأنواع الحجج، وأساليب الحجاج الشفوي في خطبها بالنظر إلى المكون اللغوي، وترتيب أجزاء القول.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في فهارس المكتبات بالمملكة العربية السعودية، والبحث المستمر في كتب الأدب والنقد، وسؤال أهل الاختصاص من النقاد والأدباء لم أجد دراسة مستقلة تناولت الموضوع، وثمة كتب درست خطب أم المؤمنين ولكن لم تكن دراسة من الناحية الحجاجية. وهناك مدونات تناولت "خطب أم المؤمنين" أو ألمحت إليها أذكر منها(٢):

– من الدراسات التي ألمعت بشكل يسير لخطب أم المؤمنين دون تحليلها: كتاب "السيدة عائشة أم المؤمنين" حبيبة الحبيب أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها–" محمد عطية خميس(٣) وكتاب "الصدِّيقة بنت الصدِّيق" لعبّاس محمود العقّاد؛ على ما فيه من مُغالطات(٤)، وكتاب "السيدة عائشة أمُّ المؤمنين وعالمة نساء الإسلام" لعبدالحميد محمود طهماز(٥)، عائشة – رضي

(١) الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٧ه)، شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، ويليه مجموعة لخطب أم المؤمنين – رضي الله عنها-، جمعها وحققها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

(٢) ثمة دراسات حللت بعض الخطب تحليلاً حجاجياً، منها: خصائص الحجاج في الخطاب الشفوي: "خطبة علي بن أبي طالب في استنفار النّاس إلى أهل الشام" أنموذجاً، ضمن كتاب: الحُسني، سامية الدريدي، دراسات في الحجاج: قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ص ص١١٥-١٣٤. ودراسة: يعقوبي، خالد، خطبة طارق بن زياد من الإقناع العقلي إلى الاندفاع العاطفي، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ج٤، ص ص٣٣٢-٣٣٩. والعشراوي: عبدالجليل الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد/الأردن، ط١، ٢٠١٢م، وثمة دراسة حديثة للطاهر بن يحيى، أطروحة دكتوراه دولة، نوقشت حديثاً في تونس، تتناول في متنها دراسة الخطب دراسة حجاجية، وهي أطروحة لم تنشر بعد، ولم أتمكن من الحصول عليها. (تونس، جامعة منوبة).

(٣) خميس، محمد عطية، السيدة عائشة أم المؤمنين: حبيبة الحبيب، دار الدعوة، ط١، ١٣٩٦ه/١٩٧٥م.

(٤) العقاد، عباس، الصديقة بنت الصديق، دار المعارف، مصر، ط١١، ١٩٨٢م.

(٥) طهماز، عبدالحميد محمود، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، دار القلم، ط٤، ١٩٨٨م.

الله عنها– مُعلمة الرجال والأجيال "لمحمد قطب[١]، ،كتاب "حياة عائشة أمّ المؤمنين– رضي الله عنها–" لمحمود شلبي[٢]، وكتاب "موسوعة أم المؤمنين عائشة" للدكتور عبدالمنعم الحفني[٣].

– كتاب "سيرة السيدة عائشة أمِّ المؤمنين– رضي الله عنها–" للشيخ السيد سليمان الندوي[٤]، أفرد الحديث عن الخطابة، وكان عرضاً دون تحليل.

– الجانب الأدبي من حياة السيدة عائشة– دراسة أدبية[٥]، تناولت هذه الدراسة مجموعة من الآثار الأدبية لأم المؤمنين من خطبة عصماء، وقول مأثور، وحكمة سيارة، ولمحة براقة، لكنها لم تذكر كل الخطب لأم المؤمنين، وكانت أقرب لعرض النصوص من تحليلها، وترتيب معاني الكلمات، وهو جهد سبق إليه محققو الخطب التي وردت في الكتب الأدبية والتاريخية.

– من أدب أم المؤمنين عائشة وبلاغتها العربية، فهد إبراهيم البكر[٦]، كان البحث عبارة عن جمع لنصوص تبين مدى بلاغة أم المؤمنين، وتعليقات يسيره، ولم يهتم الباحث بجانب التحليل الأدبي الذي يكشف سرّ هذه البلاغة.

منهج البحث:

إن تحليل خطب أم المؤمنين لا يُؤتي أُكله إلا بتمام المناهج النقدية سوية، يُؤخذ منها ما يتناسب وطبيعة هذه الخطب، وإن كان الدكتور: "محد طرشونة" يرى أن الأدب فنّ وفكر ووجدان، لذلك يتحتَّم على الباحث أن ينظر في هذه الجوانب حتى لا يبقى بحثه منقوصاً، ويرى أيضاً ان أي نقد لا ينظر في هذه المكونات الثلاثة أو يقتصر على أحدها يعد مبتوراً[٧]، وإن كنت أحترم وجاهة هذا الرأي، فإنني لا أستطيع اعتماده في دراستي على وجهه المطلوب إلا بقدر ما تحتاجه طبيعة المسألة المدروسة، لذا أجدني ركّزت في تحليل هذه المدونة على المنهج التداولي؛ لأنه يقف على المقصدية من إنشاء الخطب، ويستجلي أهم التقنيات الحجاجية التي تسهم في دعم الأفكار المطروحة؛ لتصل إلى ذهن المتلقي ويتقبلها بتسليم.

---

(١) قطب، محمد، عائشة – رضي الله عنها - معلمة الرجال والأجيال، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، (د:ط)، ١٤٠٦ه.

(٢) شلبي، محمود، حياة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها-، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م.

(٣) الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة أم المؤمنين عائشة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣م.

(٤) الندوي، السيد سليمان، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها - عربه وحققه وخرج أحاديثه: محمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط١- ٢٠٠٣م. ص٣٠٧.

(٥) مصطفى، صلاح محمد دراسة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية، تاريخ الإضافة ٢٠١١/١٢/٢٨م: ميلادي- ١٤٣٣/٢/٢هجري: http://www.alukah.net/World_Muslims/10720/37124/

(٦) البكر، فهد، من أدب أم المؤمنين عائشة وبلاغتها العربية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٧٣، ٢٠١٢م، ص ص٨٢-٨٦.

(٧) انظر: طرشونة، محمد، إشكالية المنهج في النقد الأدبي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/ تونس، (د:ط)، ٢٠٠٠م، ص٢٢.

اثبتت الدراسة على مخطط هيكلي قائم على مبحثين، ومقدمة تضمَّنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث فيه، وخطته، يليه التمهيد، الذي احتوى على ما نُسب إلى أم المؤمنين من خطب مع رواتها.

ففي المبحث الأول، تناولت فيه: أنواع الحُجج في خطب أم المؤمنين، وفيه ثلاثة مطالب: الأول: الحجج المنطقية، والثاني: الحجج المؤسسة على بنية الواقع، والمطلب الثالث: الاتصال المؤسس لبنية الواقع.

والمبحث الثاني درست فيه أساليب الحجاج الشفوي في خطب أم المؤمنين. وهو على مطلبين؛ الأول: المكون اللغوي، والمطلب الثاني: ترتيب أجزاء القول وفيه مطلبان: الاستهلال (المقدمة)، والخاتمة.

التمهيد: ما نُسب إلى أم المؤمنين من الخطب ورواتها.

يهدف التمهيد إلى الكشف عن خطب أم المؤمنين – رضي الله عنها – المنسوبة إليها مع إيراد رواتها في السند، وسأذكر سند الخطب التي وردت في المدونة المدروسة وهي من تحقيق صلاح النجار، وثمة خطب لم يثبتها المحقق، ولا تدخل في نطاق الدراسة، لذا سأثبتها وأشير إلى أماكن وجودها. (ولن ألتزم في البحث إلا بما ورد في تحقيق النجار).

– خطبة السيدة عائشة في أبيها، وهي خطبة وردت في أكثر من كتاب[١]، وإن تباينت بعض الروايات إلا أنها في مجملها صحيحة مكتملة، والاختلاف الذي بينها كان في بعض الألفاظ أو الجمل من إضافة أو حذف، وقد أورد محقق خطب السيدة عائشة الدكتور صلاح المنجد إسناد هذه الخطبة حتى وصلت الأنباري[٢] (٣٢٧هـ)، ولها إسناد آخر أورده الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت٢٨٠هـ)، يقول: "قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر [...] حدثني عبدالله السدوسي قال حدثنا أبو المنهال سويد بن علي بن سويد بن منجوف عن هشام بن عروة عن أبيه قال: بلغ عائشة أم المؤمنين أن ناساً نالوا من أبي بكري فبعث إلى أزفلة منهم فعذلت وقرعت وقالت: أبي وما أبيه"[٣] إلى آخر الخطبة.

---

(١) انظر: طيفور، أبو طاهر أحمد (ت٢٨٠ه)، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدينة والدة عباس الأول، القاهرة، (د:ط)، ١٩٠٨م. وانظر: النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣ه)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية، وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢٠٠٤، ١م، ج٧، ص١٨٠ وانظر: القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١ه)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج١، ص٢٩٤. وانظر: صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٣م، ص١٢٣.

(٢) انظر: ص ١٤-١٩، وخُتمت الخطبة بإتمام عمل الأنباري هو يشير إلى ذلك بقوله: "تمت خطبة عائشة – رضي الله عنها- وتفسير غريبها". ص٢٦.

(٣) طيفور، أبو طاهر أحمد، بلاغات النساء، ص٣. وتوجد اختلافات في إضافة بعض الكلمات عن النص الذي اختاره محقق خطب عائشة د. صلاح، منها: يفك عانيها، حصن منيف (وفي نسخة المنجد: طود)، حتى حلته قلوبها، فانصفقت، وفوقت له سهامها، وهذه جملة لم تثبت في نسخة المنجد: "ضرب الشيطان برواقه، وشد طنبه، ونصب حبائله، وأجلب بخليه ورحله وألقى بركبه"، وجملة "فرد نشر الدين على غرة، ولم شعثه بطية" وفي نسخة المنجد: طبه. وحضرته منيته (نظر الله وجهه). فأروني ما ترتأون، وفي نسخة المنجد: ترتابون.

– والخطبة الثانية، في ترتيب تحقيق المنجد، وهي التي قالتها عند قبر أبيها[١]، لم يثبتها المحقق بسند، وجاء سندها في كتاب طيفور، التالي: "وحدثني أبو محمد قال حدثنا حيان بن موسى الكشمهاني قال أخبرنا عبدالله يعني ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم قال معاوية ما رأيت أحداً بعد رسول الله أبلغ من عائشة، قال وحدثني إسماعيل بن إسحاق الأنصاري قال حدثني علي بن أعين عن أبيه قال بلغنا أن عائشة لما قبض أبو بكر ودفن قامت على قبره فقالت: نضر الله يا أبتِ وجهك"[٢] إلى نهاية الخطبة.

– أما وخطبتها في مقتل عثمان، فسندها التالي: "قال وحدثني أبو السكين زكرياء بن يحيى قال حدثني عم أبي زحر بن حصن عن جده حميد بن حارثة بن منهب بن خيبري بن جدعا قال حججت في السنة التي قتل فيها عثمان فصادفت طلحة والزبير وعائشة بمكة فلما ساروا إلى البصرة سرت معهم فلما وقفت عائشة بالبصرة قالت: إن لي عليكم حرمة الأمومة"[٣]، إلى آخر الخطبة.

الخطب المنسوبة إلى أم المؤمنين، التي لم تثبت في المدونة المدروسة:

– من الخطب المنسوبة إلى أم المؤمنين ولم يثبتها المحقق[٤]، وهي: "وحدثنا هارون بن مسلم بن سعدان قال حدثنا العتبي عن أبيه قال ذكرت عائشة رحمها الله أباها رحمه الله فاستغفرت ثم قالت: إن أبي كان عمراً شاهداً غيبه غمرا صمته إلا عن مفروض لله عند الحق إذا نزل به يتمخج الأمر هويناه ويريع إلى قصيرا هان استغزز اسجح وإن تعزز عليه طامن طيار بفناء المعضلة، بطيء عن مماراة الجليس، منشئ لمحاسن قومه موقور السمع عن الأذاة، يا طول حزني وشجاي، لم ألع على مثكول بعد رسول الله صلِّ الله عليه وسلم لوعي على أبي، طامن المصائب رزؤه وكنت بعد النبي صلّ الله عليه وسلم، لا رزء أحفله، وعاء الوحي وكافل رضاء الرب، وأمين رب العالمين وشفيع من قال لا إله إلا الله ثم أنشأت تقول:

إن ماء الجفون ينزحه الهـ ـمّ وتبقى في الهموم والأحزان
ليس ياسوا جوي المرازئ ماء سفحته الشؤون والأجفـان"[٥]

(١) وردت هذه الخطبة في المراجع التالية: الحصري، أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٥٣ه)، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ج١، ص٤٤.
(٢) طيفور، أبو طاهر، أحمد، بلاغات النساء، ص٦.
(٣) طيفور، أبو طاهر، أحمد، بلاغات النساء، ص٧. ووردت في: الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير (ت٣١٠ه)، تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية، بيروت، (د:ط)، ١٩٩٧م، مج٣، ص٦، ووردت كذلك في: ابن الأثير، أبي الحسن علي (ت٦٣٠ه)، الكامل في التاريخ، صحح أصوله: عبدالوهاب النجار، (د:ط)، ١٣٥٦م، ج٣، صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، ج١، ص١٢٦.
(٤) كل الخطب التي لم ترد في تحقيق الدكتور المنجد، سأوردها كاملة.
(٥) أبو طاهر، أحمد، بلاغات النساء، ص ص٦-٧.

– والخطبة الأخرى هي: "وحدثنا عاصم بن علي بن عاصم عن الماجشون قال قالت عائشة قبض رسول الله صلّ الله عليه وسلم فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي لهاضبها، أشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب، فوالله ما اختلف المسلمون في لفظة إلا طار أبي بحظها وغناءها في الإسلام، ومن رأى ابن الخطاب علم أنه خلق غناء للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها"(١).

– ومن خطبها أيضاً التي لم ترد في المدونة، تلك التي ألقتها على أبيها وهو فر مرضه الذي مات فيه: "حدثنا عبدالله بن عمرو قال حدثني أبو الصقر يحيى بن يزداز قال حدثني أحمد بن زيد قال حدثني حماد بن خالد عن أفلح بن حميد عن القاسم بن محمد عن عائشة أنها دخلت على أبيها في مرضه الذي مات فيه، فقالت: يا أبتِ أعهد إلى حامتك وأنفذ رأيك في سامتك، وانقل من دار جهازك إلى دار مقامك، إنك محصور متصل بقلبي لوعتك وأرى تخاذل أطرافك، وانتقاع لونك، وإلى الله تعزيتي عنك، ولديه ثواب حزني عليك أرقاً فلا أرقى، وأبل فلا أنقى"(٢).

– ومن خطبها على أبيها بعد وفاته: "وقال المدائني عن مسلمة بن محارب عن عبدالملك بن عمير قال: قالت عائشة يوم الحكمين: رحمك الله يا أبتِ فلئن أقاموا الدنيا لقد أقمت الدين حين وهي شعبه، وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه، انقبضت عما إليه أصفو وشمرت فيما عنه ونوا، وأصغرت من دنياك ما أعظموا، ورغبت بدينك عما أغفلوا، أطالوا عنان الأمل واقتعدت مطيّ الحذر فلم تختضم دينك، ولم تنسَ غدك ففاز عند المساهمة قدحك، وخف مما استوزروا ظهرك"(٣).

– وثمة خطبة لها بعد مقتل عثمان لم ترد في المدونة المدروسة: "حدثنا عبدالله بن عمرو قال، حدثني أحمد بن عثمان الوركاني، قال حدثنا عبيد الله بن محمد التيمي، قال: سمعت أبي يقول لما قتل عثمان أقبلت عائشة فقالت: أقتل أمير المؤمنين؟ قالوا نعم، قالت: فرحمه الله وغفر له، أما والله لقد كنتم إلى تشييد (وبرواية إلى تسديد) الحق وتأييده، وإعزاز الإسلام وتأكيده أحوج منكم إلى ما نهضتم إليه من طاعة من خالف عليه، ولكن كلما زادكم الله نعمة في دينكم ازددتم تثاقلاً في نصرته طمعاً في دنياكم أما والله لهدم النعمة أيسر من بناءها، وما الزيادة إليكم بالشكر بأسرع من زوال النعمة عنكم بالكفر، وأيم الله لئن كان فنى أكله واخترمه أجله، لقد كان عند رسول كزارع البكرة الأزهرة، ولئن كان الأبل أكلت أوبارها، إنه لصهر رسول الله صلّ الله عليه وسلم، ولقد عهدت الناس يرهبون في تشديد ثم قدح، حب الدنيا في القلوب ونبذ العدل،

(١) م: ن، ص٩.
(٢) أبو طاهر، أحمد، بلاغات النساء، ص١٣.
(٣) م: ن، ص١٤.

وراء الظهور، ولئن كان برك عليه الدهر بزوره، وأناخ عليه بكلكله، إنها لنوائب تترى، تلعب بأهلها وهي جادة وتجد بهم وهي لاعبة، ولعمري لو أن أيديكم (ويروى أيديهم) تقرع صفاته، لوجدتموه عند تلظى الحرب متجرداً، ولسيوف النصر متقلداً، ولكنها فتنة قدحت فيها أيدي الظالمين، أما والله لقد حاط الإسلام وأكده وعضد الدين وأيده، ولقد هدم الله به صياصي الكفر، وقطع به دابر المشركين، ووقم به أركان الضلالة فلله المصيبة به ما أفجعها، والفجيعة به ما أوجعها، صدع الله بمقتله صفاة الدين، وثلمت مصيبته ذروة الإسلام بعده وجعل لخير الأمة عهده"(١).

– ومن الخطب التي لم ترد أيضاً، خطبتها حين أُخبرت بمقتل عثمان، وهي برواية الطبري (ت٣١٠هـ) يقول: "كتب إليّ السريّ، عن شعيب، عن سيف عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: خرجت عائشة – رضي الله عنها – نحو المدينة من مكة [...]، قالت: أيها الناس إن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فانهضوا فيه إلى أخوانكم من أهل البصرة فأنكروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله – عز وجل – يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم"(٢).

– هذه بعض الخطب التي وقفت عليها أثناء بحثي عن خطب أم المؤمنين، ونسبتها إلهيا وإيراد السند، ومن أهم الملحوظات في هذا الموضوع، أولاً – أني لم أعثر على سند في كتاب أحمد أبي طاهر لخطبتي عائشة وهي في المربد، وفي يوم الجمل، وثانيا – اكتفى المحقق المنجد بتحقيق خمس خطب للسيدة عائشة – رضي الله عنها–، ساقها دون إثبات السند، فيما عدا الخطبة الأولى التي كانت في الدفاع عن أبيها.

(١) أبو طاهر، أحمد، بلاغات النساب، ص ص١٤-١٥.
(٢) الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مج٣، ص٧.

المبحث الأول: أنواع الحُجج في خطب أم المؤمنين:

- المطلب الأول: الحجج المنطقية.
- المطلب الثاني: الحجج المؤسسة على بنية الواقع.
- المطلب الثالث: الاتصال المؤسس لبنية الواقع.

مدخل:

يقوم الحجاج على ثلة من الوسائل المؤدية إلى الإقناع من خلال بث شبكته المتمثلة في بنية الخطاب، والعلاقات الرابطة بين أقسامه الكبرى، بالإضافة أنه يعتمد على أنواع من الحجج والأدلة والبراهين.

والمادة المطروحة للدراسة هي "خطب أم المؤمنين السيدة عائشة" – رضي الله عنها – هي خطب شفاهية، لذا لا بد من التنبه إلى أمر في غاية الأهمية لابد من تبين الفروق بين الخطاب الشفاهي والحجج المسرودة فيه، والكتابي وحدوده، ففي الأول يتبين أنه لابد للمحتج أن تكون عباراته قصيرة مكثفة، يحاول كسب عقول من أمامه بشد انتباههم، والاستحواذ على أسماعهم ومحاولة إفهامهم دون إملال، ولهذا يطرح الفصل الأول التساؤل التالي: ما أنواع الحجج في خطب أم المؤمنين؟ ومنه ستكون الانطلاقة للإجابة عليه من خلال الوقوف على حجج الوصل التي منها؛ الحجج المنطقية، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والاتصال المؤسس لبنية الواقع(١).

– المطلب الأول: الحجج المنطقية:

"تستمد الحجج شبه المنطقة قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية Formelle والمنطقية والرياضية في البرهنة لكن هي تشبهها فحسب وليس هي إيّاها [...] ولكن رغم ذلك تبقى الحجج شبه المنطقية تعتمد البنى المنطقية مثل التناقض، والتماثل التام أو الجزئي، ومثل قانون التعدية"(٢).

تعتمد الحجج شبه المنطقية على البعد العقلاني لما لها من الصيغ المنطقية والرياضية؛ إثبات صحة موضوع ما.

ومن الحجج شبه المنطقية ما يكتبه الإنسان عن نفسه عند عرض سيرته الذاتية أو جزء منها، أو عرض أعمال شخص آخر غير الكاتب (يشبه هذا أيضاً السيرة الغيرة) أو التطرق

(١) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.
(٢) م: ن، ص٤٢.

لحياته بتراتيبيات منظمة[١]. وهذه الحجة ظاهرة بشكل جلي في خطب أم المؤمنين عائشة، بل ربما نقول إنها قائمة على هذا الحجة والسبب يعود إلى مناسبة القول، وهي طريقة ناجعة في موضوع خطبها؛ بها تدحض الحجج الباطلة التي اتهمت والدها بالسوء، وأولئك الذين قتلوا عثمان، وفي يوم الجمل، وحزنها عندما كانت عند قبر أبيها، كل تلك الانفعالات والعواطف ولّدت هذه الخطب، لذا لجأت إلى التعريف بوالدها وفضله عن طريق عرض أعماله وسبط أوصافه، وكذا نراها تفعل مع الفاروق وذي النورين– رضي الله عنهم أجمع–، ليس ذلك فحسب، بل تُعرف بنفسها ومنزلتها وقدرها العالي في الدنيا والآخرة، وانتخب على ذلك شاهداً من خطبتها في يوم الجمل، تقول: "مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري، فأنا إحدى نسائه في الجنة، له أدخرني ربي، وخلصني من كل بُضاعة، وبي مُيز منافقكم من مؤمنكم، وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء، ثم أبي ثاني اثنين الله ثالثهما، وأول من سمي صدّيقاً، مضى رسول الله صلّ الله عليه وسلم راضياً عنه، وطوقه أعباء الإمامة [...] فولّى أمركم رجلاً مُرعيا إذا رُكِنَ إليه بعيد اللابتين، إذا ضُلَّ عركة للأذاة بجنبه، صفوحاً عن أذى الجاهلين، يقضان الليل في نُصرة الإسلام، فسلك مسلك السابقيه"[٢]. المتأمل لهذه الخطبة ومناسبتها التي قيلت فيها في يوم الجمل الذي كان يوماً عصيباً على المؤمنين؛ بسبب تأجج الفتنة فيه، راحت أم المؤمنين تخطب بهم وتذكرهم بفضلها ومكانتها عند رسول الله، ومنزلتها في الجنة، وأنها ابنة ثان اثنين إذ هما في الغار، ثم فضل عمر بن الخطاب، هذا التدرج الذي سلكته كان له وظيفة حجاجية تتمثل في إقناع المتلقي بأهمية قولها و إقناعهم بأن الشخصيات المُتحدث عنها لها قيمتها ومنزلتها، إن التراتبية الزمنية أو سرد الأعمال كان خير داعم لحجة أرادت إثباتها للمتلقي ليُسلم بصحة ما تقوله عن نفسها وعن والدها وعن ابن الخطاب– رضي الله عنهم–. ابتدأت أولاً بالحديث عن ذاتها والتعريف بها عند جمهور السامعين فهي من نساء أهل الجنة، وهي زوجة النبي صلّ الله عليه وسلم، وبسببها رخّص الله بالتيمم من قولها: "وبي أرخص الله لكم في صعيد الأبواء"[٣]، ثم انتقلت إلى الحديث عن والدها وتدرجها في إثبات صفاته يليها ذكر أعماله، ثم راحت تذكر من حكم بعد أبيها واستلم الخلافة وهو الفاروق رضي الله عنه وفعلت في الحديث عنه مثلما فعلت عندما تحدثت عن ذاتها ووالدها بسرد الصفات والفضائل مدعمة ذلك بما قاما به من أعمال جليلة في خدمة الإسلام.

(١) انظر: الشهري، عبدالهادي، آليات الحجاج وأدواته، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم، حافظ إسماعلي، علوي، الحجاج حدود وتعريفات، ج١، ص٩٥.
(٢) خطب السدة عائشة، الأنباري، ص ص٣٧-٤٠.
(٣) خطب السيدة عائشة، الأنباري، ص٣٧.

إن المتلقي في هذه الحالة تزداد عنده القناعة بما يسمع نتيجة تلك الحجج المتلاحقة التي نُظمت في تراتبيه معينة، فحجة تتبعها حجة أقوى بالتالي يكتسب النص قوة حجاجية تسيطر على عقل السامع وتستميله إلى التسليم بصدق ما يقال.

ومن الحجج شبه المنطقية في خطب أم المؤمنين – رضي الله عنها – تستند على الأدلة من القرآن الكريم وهو ما يسمى بالشواهد الجاهزة، والملحوظ على الخطب المدروسة أنها لم تعتمد هذه الطريقة في تدعيم الحجج، سوى شاهدين فقط في خطبتين، تقول في وصفها لأولئك الذين نالوا من والدها وتحدثوا عنه بما يسوء: "فأقصفتْ عليه نِسْوانُ أهل مكّة وولْدانهم يسخرون منه ويستهزئون به {الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون}[١]، أما الشاهد الثاني في خطبتها بالمربد تطلب اقتصاص قاتليّ عثمان بن عفان، تقول: "ألا إنّ مما ينبغي، لا ينبغي لكم غيره، أخذَ قتلة عُثمان – رضي الله عنه–، وإقامة كتاب الله عزّ وجلّ: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثمَّ يتولَّى فريقٌ منهم وهمْ مُعرضون}[٢].

فهذه الشواهد على قلّتها أحدثت قوة حجاجية دعمت الفكرة المطروحة بشكل منطقي.

ومن الحجج المنطقية في خطب أم المؤمنين حجج المقارنة وهي "حجج تنتمي على الحجج شبه منطقية (quasi–logiques) تقوم على الاحتجاج لشيء أو لشخص أو لقيمة أو لرأي باعتماد أفضيلته على طرف ثان"[٣]. ففي خطبة أم المؤمنين عن أبيها التي ردت بها على أزفلة من الناس لتدحض ما قالوه، تقول عن أبيها: "أنجح والله إذا أكديتم، وسَبَق إذا ونيتم، سَبْقَ الجواد إذا استولى الأمد [...] وأكبرت ذلك رجالات قريش، فحنت قسيها، وفوقت سهامها، وامتثلته غرضاً، فما فلّوا له صفاة، ولا قصفوا له قناة، ومضى على سيسائه [...] وظنّت رجالٌ أن قد أكثب نهزها ولات حين الذي يظنون وأنَّى والصديق بين أظهرهم"[٤]. وتقول عنه وهي على قبره: "أما لئن قاموا بأمر الدنيا لقد قمت بأمر الدين"[٥]، وتقول في خطبتها حين أُخبرت بمقتل عثمان راحت تبين مكانته ودونه من الناس بعقد مقارنة، وخاصة من قاتليه، تقول: "والله لأصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم"[٦]، وتقول عنه في خطبة أخرى: "كان الناس يتجنون على عثمان – رضي الله عنه –، ويزرون على عُماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥. والشاهد: في خطب عائشة، ص٢٢.
(٢) الحُسني، سامية، دراسات في الحجاج، ص١٣٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٤) خطب السيدة عائشة، ص٢٣-٢٠.
(٥) م: ن، ص٣٢.
(٦) م: ن، ص٣٤.

فيما يخبروننا عنهم، ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم، فننظر في ذلك فنجده بريّا، تقيا، وفيا، ونجدهم فجرة كذبة، يحاولون غير ما يظهرون"[١]. إن تلك المقابلات تدعم الحجة التي أرادت إثباتها أم المؤمنين وهي تزكية أبيها وعثمان بن عفان من خلال حجة المقارنة والتناقض، أليس هناك قاعدة عامة تقول بضدها تستميز الأشياء، هذه الخطة الحجاجية أسهمت بعيد الإسهام في الاستحواذ على عقل المتلقي من خلال هذه الحجج المنطقية، فيتقبلها ويقتنع بها.

– المطلب الثاني: الحجج المؤسسة على بنية الواقع.

تقوم الحجج المؤسسة على بنية الواقع بعرض الآراء المتعلقة بالواقع، "ويمكن أن تكون هذه الآراء وقائع، أو حقائق، أو افتراضات"[٢] كما أنها تأخذ الحجج شبه المنطقية "للربط بين أحكام مسلّم بها، وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلماً بها، وذلك بجعل الأحكام المسلّم بها والأحكام غير المسلّم بها عناصر تنمي إلى كلّ واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلّم بالآخر"[٣].

وبعد تأمل خطب السيدة عائشة – رضي الله عنها – وجدتُ أنها تقوم على ثلاثة أنواع من الحجج المؤسسة على بنية الواقع، منها: حجة الاتصال التتابعي (الوصل السببي)، وحجة الاتصال التواجدي (الشخص وأعماله)، وحجة السلطة، وسأقف على بيان كل منها، وانتخب أسطع الشواهد الدالة عليها.

أولاً– الحجج القائمة على الاتصال التتابعي تحديداً الوصل السببي ويقصد بها: "أن في الربط السببي يكون المرور في الاتجاهين من السبب إلى النتيجة، أو من النتيجة إلى السبب"[٤]، وخير مثال على ذلك في قولها: "فلما قبض الله نبيه صلّ الله عليه وسلم، اضطرب حبل الدين، ومرج عهد، وماج أهله [...] فقام حاسراً مشمراً [...] حتى أمذقر النفاق بوطئه، وانتاش الدين ونعشه وأراح الحق على أهله"[٥]. فالحجة المثبتة هنا أن أبي بكر الصديق نصر الإسلام والمسلمين وأعادهم لطريق الحق بعد اضطراب حبل الدين بسبب وفاة النبي صلّ الله عليه وسلم، والنتيجة المنطقية لذلك أن أبي بكر الصديق كان سبباً في نصرة الإسلام. ومن الأمثلة على ذلك أيضاً قولها: "فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا إلى العدوان"، هنا حجة سببية

(١) خطب السيدة عائشة، ص٣٥.
(٢) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٤٩.
(٣) م: ن، ص٤٩.
(٤) م: ن، ص٥٠.
(٥) خطب السيدة عائشة، ص ص٢٢-٢٤.

توضح فيها إقدام شرذمة من الناس على الفتنة لأنهم لم يجدوا الرادع، لذا جاء قولها رداعاً لهم وحجة لا ينكرونها بعد تلقيهم هذه الخطبة.

ثانياً– ومن الحجج المؤسسة على بنية الواقع؛ وجوه الاتصال التواجدي، وفيها يتحدث المحاج عن نفسه أو يتحدث عن شخصية أخرى ويسرد أعمالها، فالإنسان في الحجاج "ذا صفات معينة، منشئاً لأعمال، وأحكام معينة، وكذلك هو موضوع تقويم من قبل الآخرين في ضوء تلك الصفات والأعمال والأحكام"(١). وهذه الحجة ظاهرة في أغلب خطب أم المؤمنين، تتحدث فيها عن أعمال أبيها، وأعمال عمر بن الخطاب، وأعمال عثمان بن عفان – رضي الله عنهم أجمعين– نرى في خطبها سرداً لتلك الأعمال الجليلة بأسلوب سردي قصصي، والقادح لتلك الطريقة أنها كانت بمثابة الرد على كل أفاك أثيم أراد العدوان على أولئك الأطهار، فبطرحها لقيمة أفعالهم تهدأ النفوس السامعة وتتذكر فعلاً عظمة الشخصيات المُتحدث عنها من خلال أعمالهم، ومن الأمثلة على ذلك تقول عن أبيها: "يريش مملقها، ويرأب شعبها، ويلمُّ شعثها [...] جمع قطريه ولم شعثه بطبّه، وأقام أوده بثقافِه، حتى أمذقر النفاق بوطئه، وانتاش الدّين فنعشه، وأراح الحقّ على أهلِهِ، وقرّر الرؤوس على كواهلها وحقن الدماء في أُهُبِها"(٢)، وتقول عنه كذلك: "فتق النفاق، وأغاضَ نبع الردة، وأطفأ ما حشّتْ يهودُ [...] فرأب الثأي، وأوَّد من الغِلظة وانتاش من الهوة واجتحى دفين الدّواء حتى أعطن الوارد وأوردَ الصادر، وعلَّ الناهلُ"(٣). وتقول عن ابن الخطاب: "ففتحَ الكفَرَة ودنخها، وشرد الشرك شذر مذر، وبخع الأرض"(٤). هذه الأمثلة تبرهن على وجود قوة الحجاج فيها بدليول إيراد أعمال كل من أبي بكر وعمر– رضي الله عنهما – بشكل/ تدرج وبسياق قصصي، وهذا التدرج أكسبها قوة إقناعية.

ثالثاً– حجة السلطة، وهي "حجج تغذوها هيبة المتكلم ونفوذه وسطوته [...] إن أهم حجة من هذا القبيل هي حجة السلطة التي تستخدم أعمال شخص، مجموعة أشخاص، أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما"(٥)، وعادة لا تنفرد كل حجة بذاتها بل يتضافرن معاً وتكون كل حجة مكملة لأختها من أجل إعطاء النص قوة حجاجية وإقناعية يتحقق منها الهدف المرجو من قِبل المحاجج.

(١) المرجع السابق، في نظرية الحجاج، ص٥١.
(٢) خطب السيدة عائشة، ص ص٢٢-٢٤.
(٣) م: ن، ص٣٦.
(٤) م: ن، ص٢٥.
(٥) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٥٢.

وحجة السلطة من الحجج البارزة الظاهرة في خطب أم المؤمنين، سبب هذا الظهور تلك الفتن التي كانت قادحاً لانبلاج هذه الخطب، فقد واجهت – رضي الله عنها – فتناً عصيبة ابتداءً ممن همزوا بأبيها، وثم من قتلة عثمان، ثم بكائها على قبر أبيها، فيوم الجمل! كل هذه المواقف كانت شديدة جرّت معها خطاباً شفوياً قويّ اللهجة داحضاً بالحجة طالباً كشف القناع وهتك ستار المتخاذلين من القوم، فجاءت خطبها مشحونة بالحجج الدامغة تزكي فيها الأطهار، والشاهد الذي انتخبته لهذه الحجة هو، قولها: "أيها الناس صَهْ صَهْ، إنّ لي عليكم حُرْمَةَ الأمومة، وحقَّ الموعظة. لا يتّهمني إلاّ مَنْ عصى ربّه [...] فأنا إحدى نسائه في الجنّة، له أدخرني ربي، وخلصني من كل بضاعة [...] وأنا نُصْبَ المسألة عن مسيري هذا، لم ألتمسْ إثماً، ولم أُوَرّث فتنة أو أُطئكُمُوها، أقول قولي هذا صِدقاً وعدلاً"(١).

هذا المثال وسابقيه خير دليل على قيام خطب أم المؤمنين على الحجج المؤسسة لبنية الواقع.

– المطلب الثالث: الاتصال المؤسس لبنية الواقع.

يؤتى بهذه الحجة من أجل البرهنة على صحة ما يقال أو يكتب، يقول الدكتور "صولة" والتمثيل "في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته باعتباره أداة برهنة، فهو ذو قيمة حجاجية"(٢).

وتفيض خطب أم المؤمنين بهذه الحجة، بل تكاد تكون الظاهرة المميزة في خطبها، اعتمدت في جلها على التمثيل بكل أشكاله من: تشبيه واستعارة، وكناية، مما جعل في النصوص قوة إقناعية موجهة لجمهور من المستمعين، وتضطلع تلك الصور بوظيفة حجاجية إلى جانب وظيفتها الجمالية.

وبتأمل نصوص الخطب لوحظ عليها كثافة الصور، وفقتْ أم المؤمنين في توظيفها على نحو دقيق، وهذه الصور جاءت متلاحمة ومنسجمة مع غاية الخطبة على سبيل المثال أذكر غايتها في إبراز مكانة والدتها والرد على كل من تحدث عنه بما يسوء، فمن الأوصاف التي قالتها عنه(٣):

– ذاك طود مُنيف، وظل مديد. (تشبيه بليغ).

– كهفها كهلا، يريش مملقها، يرأب شعبها. (استعارة).

– حتى إذا ضرب الدين بجرانه، ورست أطواده. (استعارة).

(١) خطب السيدة عائشة، ص ص٣٧-٤٠.

(٢) صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج، ص٥٦.

(٣) خطب السيدة عائشة، ص ص٢٠-٢٥. انتخب على هذه الحجة هذا المثال فقط؛ لتنوع الصور فيه، بالإضافة إلى الابتعاد عن الإطالة في البحث.

– فلما حضرته منيته سدّ ثلمته [أي الدين] بنظيره في المعدلة. (استعارة).

– غزير الدمعة، وقيذَ الجوانح. (كناية).

– مضى على سيسائة. (كناية).

ولا يكتفي النص بهذه الصور، بل جاءت إلى جانبه تلك الصفات التي أسهمت بشكل جليّ في إعطاء النص قوة في الطاقة الحجاجية، وتلك التشبيهات غير متكلفة إنما اقتضاها منطق النص، تطلي عليه مظهر البداهة العقلية، فأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – هي بموقف المدافع عن أبيها أرادت إسدال الستار عن الحقائق التي خفيت عن أولئك المتخاذلين ولهذا شبهت أبيها بالجبل المنيف العالي وبالظل المديد، وأنه مثل الكهف أيام كهولته يأوي إليه الناس، ويكسي الفقير، ويطعمه الذي كأنه فرخ طائر لا حول ولا قوة له حتى يريش أي ينبت له ريشاً، ويرأب ما تفرق من أمورهم فهم كالشعب الذي تفرقت طرقه. وأضافت إلى ذلك أنه كان غزير الدمعة من الخشوع والرحمة وهذا يناقض معنى الجبروت والطغيان، وهو وقيذ الجوانح أي عليل الفوائد ليس بمعنى المرض بل رقيق القلب، ومع ذلك هوجم "أقصفت عليه نسوان أهل مكة"(١)، وأنه حين شعر بدنو المنية لم يترك الأمر بل عهده إلى من يثق به ليسد ثلمة الدين بابن الخطاب – رضي الله عنه –، فكأننا هنا بأم المؤمنين تقول هاكم أبي الذي لم تعرفوا حقه. فهذه الصور لها حمولة عقلية ومعنوية، إذ بها يحصل التصديق لما طرح، وهي دعامة لإرساء الحقيقة وهذا ما يؤكد عليه "الجاحظ" بقوله: إن "مدار العلم على الشاهد والمثل"(٢)، لهذا نجد أن الخطب اتخذت هذا المنحى الحجاجي (البلاغي) لأنه حجاج موجه للقلب والعقل معاً، يحمل بين طياته مضموناً يحيل على العقل عن طريق التصوير "إلا أن الصور البيانية والحيل المجازية واللغوية (فن الإيصال) وحدها لا تحقق التصديق والتدليل ما لم تستند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقلياً. وهذه الأدوات هي التي يوفرها الحجاج أو المحاجة"(٣).

ومن وظائف الصور أنها مكون من مكونات بناء المعنى، وهذا ما أفصح عنه "الجرجاني" في "أسرار البلاغة" من خلال حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة؛ فهي "أقطاب تدور عليها المعاني في متصرفاتها، وأقطار تحيط بها من جهاتها"(٤)، أضف إلى ذلك أنها تراعي مقتضى الحال وأوجه الاستحسان، وبين مطابقة الكلام لقصده ومراعاته لوضوح الدلالة، وهذا وجه من

(١) خطب السيدة عائشة، ص٢١.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان عور (ت٢٥٥ه)، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م، مج١، ص١٧١.

(٣) أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحِجاجي، عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب: الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، (الحِجاج وحوار التخصصات)، ج٣، ص٤٥.

(٤) الجرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: هلموت ريتر، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص٢٦.

وجوه البلاغة التي هي "بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"(١)، كما أنها تقوم على الإخبار من خلال الإثبات والنفي، وبهذا تكون التشبيهات بأنواعها والمجاز قد حققت وظيفة حجاجية، ومن الوظائف أيضاً أن هذا الأسلوب يدخل في باب الاستدلال فما تفعله الجملة المجازية من إثبات ونفي تدل على أنه وجه من وجوه الاستدلال، فالاستدلال "ليس عملة عقلية استنباطية محضة، بل عملية خطابية [...] لذلك قد لا يخرج الاستدلال عن دائرة التشبيه والاستعارة، وبشكل أعمّ عن دائرة المجاز"(٢)، ومن وظائف تلك الصور الوظيفة النفسية، لأن تلك الوسائل أقدر على التأثير من غيرها، فأرباب البلاغة (كما يذكر السكاكي) متفقون على أن المجاز أقوى في إيصال المعنى، يقول: "المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أقوى من التصريح بالتشبيه، وأن الكناية أوقع من الإفصاح بالذكر"(٣)، وهذا دليل صريح بقدرة التصوير على النفاذ إلى قلب وعقل السامع، يقول "القزويني" عن المجاز بأنه يمكن "المعنى في القلب"(٤).

ومما سبق يتضح لنا أن أسلوب التمثيل له دور مهم في الحجاج والإقناع؛ لأنه يضطلع بوظائف(٥) مهمة منها؛ الاستدلال، ومخاطبة العقل والقلب معاً، والوظيفة النفسية. وبهذا تغدو حجة التمثيل من أقوى الحجج في خطب أم المؤمنين.

خاتمة المبحث الأول:

وقف المبحث الأول على أهم مفاصل الحجاج الاتصالي في خطب أم المؤمنين – رضي الله عنها –، وأنواعه من حجج شبه منطقيه، والحجج المؤسسة على بنية الواقع، والاتصال المؤسس لبنية الواقع. والخطبة هي قول له بناء مخصوص وأسلوب ينحى إلى أن يكون إقناعياً وبلاغياً، من خلال الحجج التي يعمد إليها المخاطب، وخطب السيدة عائشة تصنف ضمن الخطاب الشفوي الذي يُلقى على جمهور؛ من أجل استمالتهم وتحريك ما في نفوسهم.

من الملحوظ أن أهداف الحجاج الخطابي في خطب أم المؤمنين قد تحققت من خلال تلك الأنواع الحجاجية التي اتخذتها للتأثير في المتلقي وجعله يصدق ما كانت إليه بسبيل ثم الرضا والتسليم بما ذكرت، تقول بعد انتهائها من إحدى الخطب: "ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت:

(١) السكاكي، محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص ص٤١٥-٤١٦.
(٢) أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحِجاجي، ج٣، ص٤٥.
(٣) السكاكي، محمد بن علي، مفتاح العلوم، ص٤١٢.
(٤) القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د:ط)، (د:ت)، ص٢٢١.
(٥) يمكن الوقوف على هذا الموضوع بشكل تفصيلي أكبر من خلال الرجوع إلى: المودن، حسن، حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب الحَجاج: مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج٣، ص ص١٥٥-١٧٣.

أنشدكمُ الله هل أنكرتُم مما قُلتُ شيئاً؟ قالوا: اللهم لا"(١)، هذه الاستمالة دخلت عن طريق خطاب العقل والقلب معاً للفوز بإقناعهم وإعادتهم إلى الطريق الصحيح والميل لما قالت.

المبحث الثاني: أساليب الحجاج الشفوي في خطب أم المؤمنين:

- المطلب الأول: المكون اللغوي.
- المطلب الثاني: ترتيب أجزاء القول (الاستهلال، والخاتمة).

مدخل:

يعدُّ الحجاج ممارسة لفظية اجتماعية عقلية، تهدف إلى نقد معقول حول مقبولية الموقف بصياغة مجموعة تراكيبية، ومن أهم المكونات الداخلة في الحجاج المكون اللغوي الذي يتضافر مع المكون المنطقي والسياقي، يدل عليها أيضاً، ويعتمد كل خطاب على تقنيات مخصوصة، تُصاغ حسب استخدام المخاطِب لها، ينتقي حججه بعناية، وينحو في بناء نصه طريقة تتناسب مع السياق الذي يحف خطابه. ولهذا سأتناول في هذا المبحث المكون اللغوي، وبيان وظيفته الاتصالية الإقناعية، ودور ترتيب أجزاء القول من استهلال وخاتمة في تدعيم الوظيفة الحجاجية.

- المطلب الأول: المكون اللغوي.

المكون اللغوي هو الذي يردف الحجج المنطقية وغيرها، ويتضافر معها من أجل الإقناع، وهذا المبحث سيكشف المكونات اللغوية التي لها صلة متينة بالإقناع، هي على نوعين منها ما يسهم بربط الحجج، ومنها ما يتصل بالأساليب، فالنص يتكون من ملفوظات كثيرة ليست كلها داعمة للحجاج، بل ثمة مكونات لغوية لها يد في تقوية الحجاج في الخطب، أو ما تسمى بمشيرات التلفظ، منها: أسلوب الشرط، هو "أسلوب يدل على إلزام حدوث الحدث، لحدوث حدث آخر"(٢)، والأمثلة عليه التالي: "سبْق الجواد إذا استولى على الأمد"(٣)، و "حتى إذا ضرب الدين بجرانه [...] اختار الله لنبيه ما عنده"(٤)، و "فلمّا قَبَضَ الله نبيه – صلى الله عليه وسلم–، اضطرب حبل الدين"(٥)، و "فلمّا حَضَرَتْه مَنيتُه سدّ ثلمته بنظيره"(٦)، تتميز هذه الخطبة دون غيرها بأسلوب الشرط، وهو ارتباط سببي أسهم في بربط النص ولحمته، ولها دلالة أخرى

(١) خطب السيدة عائشة، ص٢٥.
(٢) زروقي، أبو بكر، دلالات الارتباط في أسلوب الشرط: دراسة في نصوص من صحيح البخاري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس، جانفي، ٢٠١٠.
(٣) خطب السيدة عائشة، ص٢٠.
(٤) م: ن، ص٢٢.
(٥) م: ن، ص٢٢.
(٦) م: ن، ص٢٤.

تتمظهر في إبراز صفة أبي بكر– رضي الله عنه – فهو سباق إلى وصول الغايات كالجواد، ونلاحظ أن الشرط جاء تمهيداً لعرض صفات الصدّيق فمثلاً في الجملة التي فيها حدث بعدها اضطراب الدين بعد وفاة النبي سيقف في وجه هذه الفتنة أبو بكر، نعرف ذلك من خلال السياق الذي وردت فيه الأعمال التي اضطلع بها، ينطبق ذلك أيضاً على الجمل الشرطية الأخرى المستشهد بها.

ولا نكاد نعثر على هذا الأسلوب في الخطب الأخرى إلا في خطبة أم المؤمنين حين أُخبرت بمقتل عثمان فالشرط ورد مرة واحدة في قولها: "فلما لم يجدوا حجة ولا عُذراً بادروا إلى العدوان"(١)، كذلك في خطبتها يوم الجمل ورد مرتان في وصفها لعمر بن الخطاب – رضي الله عنه–(٢). أسلوب الشرط في الخطب لم يكن مجرد مكون لغوي أو رابط لأجزاء النص إنما كان لها دلالة أعمق في المعنى، اتضح من خلال السياق.

ومن المكونات اللغوية الداعمة للحجاج التكرار، له وظيفة خطابية تساعد على الإفهام والإفصاح والكشف(٣)، ما يهم هو الوظيفة الاتصالية الإقناعية من وراء ذلك، إلمع إلى ذلك "أبو هلال العسكري" (ت٣٩٥هـ)، التكرار بتأكيد الحجة(٤)، وخير شاهد على ذلك من الخطب، قول عائشة – رضي الله عنها– في افتتاحية إحدى خطبها: "أبي وما أبيه! أبي والله لا تعطوه الأيدي"(٥)، ومن أمثلة التكرار: "أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة"(٦)، هذا التكرار له دور مهم في تدعيم الحجة التي تتمثل في الحديث عن أبيها مثلاً، أو إغراق صفة الذم في أولئك الذين سفكوا دم عثمان. أضف إلى ذلك التكرار المعنوي، فالمعاني في خطبتها التي تنتصر بها إلى أبيها تحوم حول مدح هذا الأب الكريم، كذلك في خطبتها لعثمان. إذن يمكن القول بأن التكرار ساهم في تقوية الحجج المراد طرحها.

من المكونات اللغوية أو الأساليب الضمائر، فخطب السيدة عائشة – رضي الله عنها– تحفل بتنوع كثير للضمائر، أنتخب شاهداً على ذلك، تقول في خطبتها يوم الجمل: "أيها الناس [...] إن لي عليكم [...] فأنا إحدى نسائه [...] له ادخرني ربّي [...] وبي أرخص الله لكم [...] راضياً عنه [...] وأنتم يومئذ جحظ العيون، تنظرون [...]"(٧). من يتأمل الشاهد السابق يرى أن

(١) م: ن، ص٣٤.
(٢) الشاهدان: هما: "فولى أمركم رجلاً مرعيا إذا رُكن إليه، بعيد ما بين اللابتين إذا ضَلّ". خطب السيدة عائشة، ص٤٠.
(٣) الجاحظ، ج١، ص ص١٠٤-١٠٥.
(٤) العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربي، (د:ط)، ١٩٥٢م، ص١٥٦.
(٥) خطب السيدة عائشة، ص٢٠.
(٦) م: ن، ص٣٣.
(٧) م: ن، ص ص٣٧-٤٠.

نظام الضمائر لافتاً في الخطبة، نوعت أم المؤمنين استخدمه فأسهم في حركية النص إن في حديثها عن نفسها بضمير المتكلم، ثم انتقالها إلى كاف الخطاب المضافة إلى ميم الجميع في (عليكم) دون تحديد ثم مالت إلى ضمير المتكلم (أنا) ثم ضمير الغاب (عنه) فجمع المتكلم (أنتم)، إن هذه المراوحة في استخدام الضمائر أعطت النص قوة حجاجية خدمت الوظيفة الإقناعية.

أما المكونات الداخلة في العملية الحجاجية فتلك الروابط المهمة التي تسهم في إيصال المعنى مشحوناً بالطاقة الإقناعية، من مثل النفي والاستدراك، والتوكيد، أضف إلى ذلك الأساليب الإنشائية مثل الاستفهام والقسم والجناس والطباق والسجع.

على هذا النحو تميّزت خطب أم المؤمنين – رضي الله عنها – مختزلة مشحونة بالمكونات اللغوية من أساليب وروابط، تهدف إلى شد الانتباه وإقناع المتلقي بصحة ما يقال.

– المطلب الثاني: ترتيب أجزاء القول:

المطلب الأول: الاستهلال (المقدمة).

تعد مقدمة الخطبة الركن الأساس الذي يرتكز عليها نجاح الخطبة من فشلها، والخطيب الحاذق هو الذي يصوغ من اللغة جملاً جاذبة للجمهور تلوي أعطافهم عن كل ما يلهيهم ليسلموا أذهانهم لما سيقال. ولا يمكن أن تخلوا خطب السيدة عائشة من تلك الاستخدامات الذكية للغة في المقدمات كيف لا، وهي من أرباب الفصاحة والبيان والتبيان – رضي الله عنها وأرضاها– في خطبها نلحظ التنوع في أساليب الافتتاحيات إلى جانب ذلك يجمع بينها القصر، في هذه المقدمات كثافة لغوية هائلة وطاقة معنوية مشحونة بالانفعال، ولا أغفل الحديث عن وظيفة هذه الافتتاحيات ودورها الحجاجي في عرض الخطبة، وبوقفه مع تلك الاستهلالات انتخب الشواهد التالية:

– في خطبة الدفاع عن أبيها تفتتحها بقولها: "أبي، وما أبيه، أبي والله لا تعطوه الأيدي"(١). ابتدأت الخطبة بكلمة (أبي) وكررتها مضافة إلى ياء المتكلم، يليها أسلوب التعجب الاستنكاري، ثم أردفتها بالقسم مقروناً بالنفي. هذا الأسلوب مهد للحديث عن والدها وسوق الحجج والبراهين لدحض ما كان قد قيل عنه، فالافتتاح هنا كان وثيق الصلة بموضوع الخطبة، وهذا ما يسمى عند أهل البلاغة ببراعة الاستهلال الذي يظهر "أثرها في تدعيم موقف الخطيب، وغرس الثقة في نفسه، ليتابع طرح موضوع خطبته بكمال القوة والثبات"(٢).

(١) خطب السيدة عائشة، ص٢٠.
(٢) مكتبي، نذير محمد، خصائص الخطبة والخطيب، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ٢٠٠١م، ص٥٦.

– وفي خطبتها على قبر أبيها، تختلف الافتتاحية هنا عن كل الخطب التي فيها انفعال وفي مقام الحرب أو أخذ الثأر، هنا أم المؤمنين تقف على قبر أبيها، وذكر الميت يثير الأحزان ويجعل من اللغة رقيقة حزينة، لهذا استهلت خطبتها بدعاء لوالدها مدبج بنداء مضاف إليه ياء المتكلم، تقول: "نضّر الله وجهك يا أبتِ، وشكر لك صالح سعيك"(١).

– استهلت أم المؤمنين الخطبة التي ألقتها حين أُخبرت بمقتل عثمان – رضي الله عنه – بالنداء تقول: "أيها الناس!"(٢)، ومن الخطب التي بدأت بنفس الأسلوب خطبتها يوم الجمل، تقول: "أيها الناس! صه صه"(٣)، فأسلوب النداء هنا أسهم في توجيه الأنظار إلى ما سيلقى، كما أن فيه التفاتاً بليغاً وظيفته شد انتباه الجمهور وإيقاظ الغافلين.

– أما في مقدمة خطبتها بالمربد فإنها افتتحتها بحمد الله والثناء عليه (وإن كان لم يثبت بالنص الذي اعتمدته إنما أشير إلى ذلك)، ثم جاءت بعده بأسلوب خبري تقول: "كان الناس يتجنون على عثمان"(٤). هذه الجملة الخبرية أسهمت بشكل كبير بعرض الخطبة التي جاءت على شكل سرد قصصي.

إذن نلاحظ مما سبق اعتماد السيدة عائشة – رضي الله عنها – في استهلال خطبها على الأساليب الإنشائية؛ من تعجب، وقسم، ونفي، ونداء، أو دعاء أعقبه خبر، ويمكن القول بأن هذا الأسلوب حقق الغاية الأساسية من مقدمات الخطب وهي استمالة ذهن المتلقي والاستحواذ على انتباهه.

– المطلب الثاني (خواتيم الخطب):

من أهم دعائم الخطب الخواتيم، يتم بها موضوع الخطبة، ويسعى الخطيب دائماً إلى جعلها ملخصاً لما قاله في الخطبة بأسلوب مختصر مكثف لغوياً، تكتسب الخاتمة أهميتها في الخطب؛ لأنها تكون في الآذان أولج وفي الأذهان أعلق. وفي هذا المطلب سأنظر في خطب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وأربطها بالمقدمات لمعرفة مدى نجاعتها في تحقيق الوظيفة الحجاجية.

ففي خطبتها عن أبيها التي ابتدأت بها بكلمة (أبي) وأسلوب التعجب (وما أبيه!)، ثم عرض الموضوع وكانت كل المعاني تدور في فلك والدها ختمت ذلك بأسلوب إنشائي وهو الاستفهام، تقول: "فأروني ما ترتابون، أنّى يومي أبي تنقمون؟ أيوم مقامه إذْ عدل فيكم، أم يوم

(١) خطب السيدة عائشة، ص٣١.
(٢) م: ن، ص٣٣.
(٣) م: ن، ص٣٧.
(٤) م: ن، ص٣٥.

ظعنه إذْ نظرَ لكم؟"[١]، تظهر نجاعة الخاتمة هنا بربطها بالمقدمة والعرض مما جعلها تحقق وظيفة حجاجية تملي على المتلقي الإجابة الحتمية التي يقتنع بها وتظل عالقة في ذهنه، فهذا السؤال لخص كل ما كانت تروم حوله معاني الخطبة.

وبالنسبة لخطبتها وهي على قبر أبيها التي استهلتها بالدعاء تختمها بالدعاء، تقول: "فعليك سلام الله توديع غير قاليةٍ لحياتك، ولا زاريةٍ على القضاء فيك"[٢]، هنا ناسبت الخاتمة المقام الذي أُلقيت فيه.

وجاءت خاتمة الخطبة التي أخبرت أم المؤمنين فيها بمقتل عثمان – رضي الله عنهما– بقسم غير طلبي[٣] تبين فيه فضل عثمان عن طريق التشبيه، وهذا القسم الذي تلاه تشبه تبقى صورته في الذهن. كما أنها ختمت خطبتها وهي في المربد باستشهادها بآية من القرآن هذا الاستشهاد دلَّ في السياق على طلبها بأخذ حق دم عثمان، أما في خطبتها يوم الجمل الذي ابتدأت فيها بنداء، نراها ختمتها بفعل إقراري مغلف بدعاء، تقول: "أقول قولي هذا صدقاً وعدلاً، وإعذاراً وإنذاراً، وأسأل الله أن يُصلِّ على محمّد وأنْ يخلفه فيكم بأفضل خلافة المرسلين"[٤].

يتضح مما ذُكر آنفاً، أن الأسلوب المتبع في خواتيم خطب السيدة عائشة – رضي الله عنها – التشابه القائم بينها، إذ أنها تنحوا صوب الإنشائية.

خاتمة المطلب الثاني:

تناول هذا المطلب أساليب الحجاج الشفوي في خطب أم المؤمنين، ورأينا كيف أن المكون اللغوي كان من أهم الروافد الداعمة للحجج ولإيصال المعنى وإقناع المتلقي، كما أن لترتيب أجزاء القول دور مهم في تهيئة السامع للولوج به إلى الموضوع، وطريقة قفل الخطبة أيضاً، ورأينا عناية أم المؤمنين في ترتيب خطبها، هذه العناية كان لها يد طولي في خدمة الحجاج.

(١) م: ن، ص٢٥.
(٢) م: ن، ص٣٢.
(٣) م: ن، ص٣٤.
(٤) م: ن، ص٤٠.

خاتمة البحث:

ابتدأت هذه الدراسة بسؤال: ما خصائص الخطاب الشفوي الحجاجي في خطب السيدة عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها–، وحاولتُ الإجابة على هذا السؤال في مطلبين، الملطب الأول كان: في استجلاء أنواع الحجج، يليه المطلب الثاني: في أساليب الحجاج الشفوي بالنظر إلى المكونات اللغوية، وترتيب أجزاء القول، وفي نهاية المطاف أعرض بعض النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

– يتّضح مما سبق أن خطب أم المؤمنين – رضي الله عنها – اعتمدت على الإقناع من خلال اشتمالها على ثلاثة ركائز مهمة تقتضيها الخطابة عامة، وهي: "إيجاد المعاني الجديرة بالإقناع من الأدلة والآداب، والتنسيق على نظام واحد من إحكام الربط والترتيب، والتعبير الذي يراعي فيه حالة السامع"(١).

– ومهما يكن فإن التحليل الحجاجي لخطب أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– يظل منقوصاً، لأنه خطاب شفوي، ينقصه تلك اللمحات والإشارات التي تدخل في الحجاج من هيئة ونبر.

– من مميزات خطبها – رضي الله عنها– الفقرات المرسلة قصيرة، قد تغلق بعضها بالأسجاع المحكمة التي جاءت عفو الخاطر دون تكلف، والكثافة والإيجاز ورنين الألفاظ.

– في التمهيد: توصلت فيما نُسب إلى أم المؤمنين من خطب، إلى أن خطب السيدة عائشة كانت مبثوثة في مظان كتب الأدب والتاريخ، جمع معظمها في كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور، مع إسنادها، ووردت في الكتب الأخرى دون إسناد، ما عدا كتاب "تاريخ الطبري"، كما أن المدونة المدروسة التي بتحقيق "صلاح المنجد" نراه لم يهتم بذكر الإسناد، إلا في الخطبة الأولى، فيما عدا ذلك يورد الخطب غير مسندة، أضف إلى ذلك أنه انتخب خمساً من الخطب، مع أن للسيدة عائشة أكثر من ذلك.

– من أهم النتائج في المبحث الأول الذي وقفت فيه على أهم الحجج في خطب أم المؤمنين، هي الحجج المنطقية، منها: ذكر جوانب حياة أبيها، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان. هذه الحجج أسهمت في إقناع المتلقي، واستمالة عقله إلى التصديق بما يقال، ومن الحجج الشبه منطقية في الخطب تلك الشواهد الجاهزة التي زادت في النص قوة إقناعية حجاجية، ومن الحجج المنطقية حجج المقارنة، وهي لا تبعد كثيراً عن وظيفة الحجج التي سبقتها.

(١) درويش، محمد حسن، تاريخ الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د:ط)، ١٩٧٤م، ص٦٥.

كما تناولت الدراسة الحجج المؤسسة على بنية الواقع، وهي تقوم على حجة الاتصال التتابعي (الوصل السببي)، وحجة الاتصال التواجدي (الشخص وأعماله)، وحجة السلطة، والحجج المؤسسة لبنية الواقع. كل تلك الحجج كانت خير معين على إيصال مقصدية أم المؤمنين، سواء من تبرئة والدها مما قيل فيه، أو الحث على الأخذ بدم عثمان بن عفان من خلال سرد أعماله الفاضلة في خدمة الدين، تلك الإلماعات في شخصية ابن الخطاب، أو في حديثها عن نفسها يوم الجمل، رضي الله عنهم أجمعين.

– من أهم الاستنتاجات في المبحث الثاني، انتهيت إلى أن مجمل خطب أم المؤمنين جاءت مركزة اللغة، كثيفة العبارة، قصيرة الجمل، مرفودة بالصور والبيان، والطباق، والجناس إلى غير ذلك، من أساليب لغوية وتراكيب بلاغية، ولا تعدم تلك النصوص من روابط لغوية متينة شدت أواصر النص وجعلت منه لُحمة واحدة، ولكل من تلك المكونات اللغوية وظائف، إلا أنها تشترك في وظيفة واحدة هي الوظيفة الاتصالية الإقناعية.

– من الاستنتاجات أيضاً في هذا الفصل تلك العناية الفائقة بالاستهلال والخواتيم، كان لها بالغ الأثر في صوغ الحجج وبثها ليقبلها المتلقي، دون عسر بالفهم.

<u>أما التوصيات فهي الآتي:</u>

– أوصي بالعناية بدراسة خطب أم المؤمنين/ وكل الآثار القولية المنسوبة لها، من خطب، أو حكم، أو نصوص مبثوثة، واستجلاء الجماليات البلاغية.

– تظل هذه الدراسة منقوصة، إذ لابد من استكشاف خصائص الخطاب الشفوي في خطب أم المؤمنين بتطبيق المناهج النقدية الأخرى.

– للوقوف على خصائص الخطاب الشفوي في الخطب، لابد من انتخاب مجموعة من الخطب لفطاحلة البيان من العصر الجاهلي، أو الإسلامي الأول، وتدرس أسلوبياً، لتتجلى لنا الخصائص الحجاج الشفوية بشكل أفضل، وبنتيجة أفضل أيضاً.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٧هـ)، شرح خطبة عائشة أم المؤمنين في أبيها، ويليه مجموعة لخطب أم المؤمنين– رضي الله عنها–، جمعها وحققها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

المراجع:

ابن الأثير، أبي الحسن علي (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، صحح أصوله: عبدالوهاب النجار، (د: ط)، ١٣٥٦م.

أعراب، الحبيب، الحجاج والاستدلال الحِجاجي، عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب: الحجاج: مفهومه ومجالاته: دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، تقديم: حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٩٨٥م.

الجرجاني، عبدالقاهر، أسرار البلاغة، تحقيق: هلموت ريتر، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.

حادي، إيليا، فن الخطابة وتطوره عند العرب، دار الثقافة، لبنان، (د:ط)، (د:ت).

الحُسني، سامية الدريدي، دراسات في الحجاج: قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

الحصري، أبو أسحاق إبراهيم بن علي (ت٤٥٣هـ)، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

الحنفي، عبدالمنعم، موسوعة أم المؤمنين عائشة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣م.

خميس، محمد عطية، السيدة عائشة أم المؤمنين: حبيبة الحبيب، دار الدعوة، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٥م.

درويش، محمد حسن، تاريخ الأدب العربي في الجاهلية والإسلام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (د:ط)، ١٩٧٤م، ص٦٥.

السكاكي، محمد بن علي، مفتاح العلوم، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص ص٤١٥-٤١٦.

شلبي، محمود، حياة عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها–، دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م.

صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٣٣م.

صولة، عبدالله، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م.

الطبري، أبو جعفر بن محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، منشورات محمد علي بيضون، ودار الكتب العلمية، بيروت، (د:ط)، ١٩٩٧م.

طرشونة، محمد، إشكالية المنهج في النقد الأدبي، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة/ تونس، (د:ط)، ٢٠٠٠م، ص٢٢.

طهماز، عبدالحميد محمود، السيدة عائشة أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام، دار القلم، ط٤، ١٩٨٨م.

طيفور، أبو طاهر أحمد (ت٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدينة والدة عباس الأول، القاهرة، (د:ط)، ١٩٠٨م.

العسكري، أبو هلال، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتاب العربي، (د:ط)، ١٩٥٢م، ص١٥٦.

العشراوي، عبدالجليل، الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

العقاد، عباس، الصديقة بنت الصديق، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٢م.

القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د:ط)، (د:ت).

قطب، محمد، عائشة – رضي الله عنها– معلمة الرجال والأجيال، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، (د:ط)، ١٤٦٠هـ.

القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.

مكتبي، نذير محمد، خصائص الخطبة والخطيب، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ٢٠٠١م، ص٥٦.

المودن، حسن، حجاجية المجاز والاستعارة، ضمن كتاب الحِجاج: مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج٣، ص ص١٥٥–١٧٣.

الندوي، السيد سليمان، سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– عربه وحققه وخرج أحاديثه: محمد الندوي، دار القلم، دمشق، ط١–٢٠٠٣م.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية، وآخرون، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢٠٠٤، ١م.

المجلات العلمية:

البكر، فهد، من أدب أم المؤمنين عائشة وبلاغتها العربية، مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٧٣، ٢٠١٢م.

زروقي، أبو بكر، دلالات الارتباط في أسلوب الشرط: دراسة في نصوص من صحيح البخاري، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس، جانفي، ٢٠١٠م.

المواقع الالكترونية:

مصطفى، صلاح محمد، الجانب الأدبي من حياة السيدة عائشة، دراسة أدبية، دراسة مرشحة للفوز بمسابقة كاتب الألوكة الثانية، تاريخ الإضافة ٢٠١١/١٢/٢٨م – ١٤٣٣/٢/٢هـ. http://www.alukah.net/World_Muslims/10720/37124/

الرسائل العلمية:

المحيميد، منال صالح، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد، دراسة إنشائية، رسالة غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٣هـ. (أفدت منها في المقدمة).